سيميائية الملصق الفيلمي

ذة. ارقية مطهر
الاستاذ المشرف الدكتور عبد الكريم لشهب
كلية اللغات والآداب والفنون.
مختبر الديداكتيك واللغات والوسائط والدراماتورجيا
جامعة ابن طفيل، القنيطرة
المغرب

تمهيد

يتخذ الملصق أشكالا متعددة، إذ هناك ملصقات خاصة بالمهرجانات السينمائية التي تتخذ تيمة ما موضوعا لها، كما أن هناك ملصقات خاصة بالأفلام السينمائية سواء تلك التي تعرض في التلفزيون أو في القاعات السينمائية. وفي الحالتين معا، فإن الملصق ليس عنصرا عارضا أو ثانويا بقدر ما هو عنصر أساسي من عناصر الفرجة السينمائية، ووسيلة من وسائل التواصل مع الجمهور واستثارته لمشاهدة الفيلم، وهو ما يعني أن "تصميم ملصق الفيلم يعد مفتاحا لإقناع الجمهور بمشاهدته"[1]. وهكذا يتبين أن الملصق يرتكز على ثلاثة عناصر أساسية، وهي: التصميم الذي يثبت وجود رؤية خلف أي ملصق لاسيما وأن التصميم تخصص قائم بذاته، تُراعى فيه فلسفة الألوان، ودلالة الأحجام والأبعاد، والوِضعات وغيرها من العناصر البصرية، ثم هناك كلمة مفتاح تفيد أن الملصق يعد بمثابة وسيط بين المشاهد والفيلم، فالأمر هنا شبيه بصورة غلاف الكتاب وعنوانه، فلا أحد يجادل فيما للصورة والعنوان من أهمية قصوى في جلب القارئ وإثارة انتباهه. وتزداد أهمية الكلمة المفتاح عندما نربطها بوظيفة الملصق المتمثلة في الإقناع باعتباره عنصرا ثالثا يقود إلى تحقيق الغاية المتوخاة من تصميم الملصق الفيلمي.

1-فيلم "البروفسور والمجنون"

يعد فيلم "البروفيسور والمجنون"[2] من الأفلام المتفردة في موضوعها كونه اتخذ من اللغة موضوعا له، فحكاية الفيلم تدور حول مجنون يساعد البروفيسور في جمع الكلمات لتأليف معجم أكسفورد الشهير، وهذا المجنون الذي قتل شخصا بالخطإ والموجود في مصحة خاصة بالمجانين المختلين عقليا لعب دورا كبيرا في مساعدة البروفسور في جمع المفردات وتصنيفها في المعجم المذكور. وما يهمنا في هذا الفيلم هو الوقوف ملصق هذا الفيلم لاستكشاف ما يستضمره من دلالات صريحة وأخرى ضمنية.

2-الأبعاد الصريحة والضمنية لملصق فيلم "البروفسور والمجنون"

يقتضي الوقوف عند هذه الأبعاد الانطلاق أولا من الملصق الذي صمم بشكل دقيق في نظرنا للإحالة على البطلين الرئيسين في الفيلم، وهما البطلان الذي شكل التقاؤهما نقطة تحول في مسار أحداث الفيلم وتطور حبكته. لنتأمل الملصق أدناه:

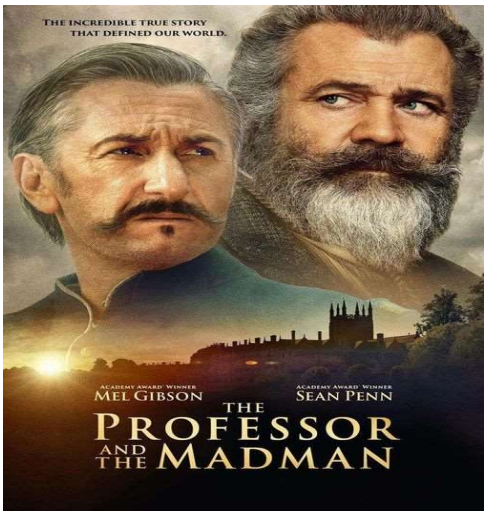

الصورة رقم 1

نلاحظ في الملصق حضورا بارزا لشخصيتين تم التركيز على وجههما باستخدام اللقطة العامة التي تركز على الوجه إلى حدود الصدر، وملامح الوجه تعبر عن الاتزان والهدوء وبعد النظر كما توحي بذلك نظرة الممثلين. فالملصق يوحي بوجود شخصين يفكران في موضوع ذي أهمية، والنظرة هنا لا تحيل على وجود خلاف أو كراهية أو سعي إلى الانتقام من بعضهما البعض بقدر ما تشي أن كلاهما يفكران في أمر يشغل بالهما ويبحثان عن حل له.

وعندما نمعن النظر في زاوية التقاط الصورة يتبن أن التصوير تم من الأسفل، والتصوير من هذه الزاوية غايته تضخيم الشيء والرفع من قيمته، وهذا يتناسب مع وضع صورة الشخصيتين في الملصق إذ تم وضعهما في الجزء الأعلى من الملصق، وهو ما يتناسب كذلك مع موضوع الفيلم الذي يطرح فكرة مهمة جدا غير مألوفة في المشاهد السينمائية التي غالبا مع تركز على الظواهر الاجتماعية وما يترتب عليها من صراعات. فالوجهان أول ما يخاطب عين الرائي في هذا الملصق، وهما وجهان لشخصين تظهر عليهما ملامح الجد، لا ينظران إلى بعضهما لكن واضح أن رؤيتهما تتقاطع في هدف واحد:

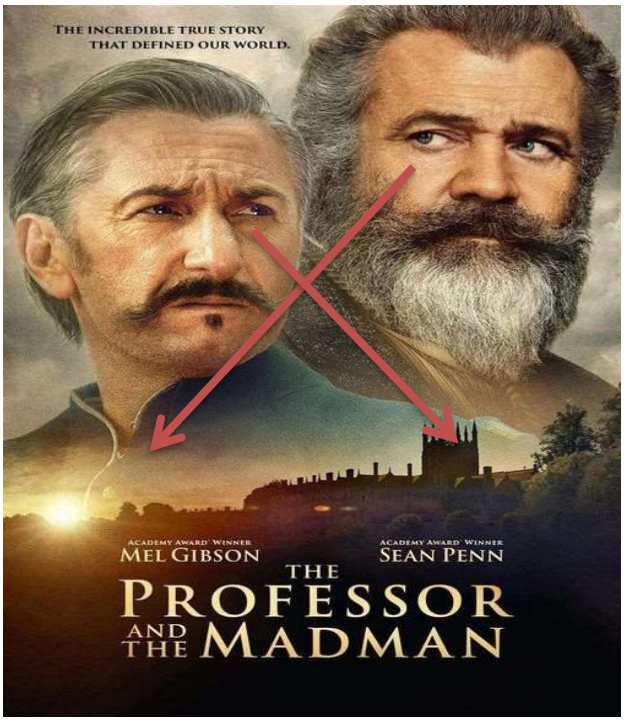

الصورة رقم 2

إن النظرتين ليستا في نفس الاتجاه لكنهما تتقاطعان في هدف من الأهداف، إنهما عبارة عن خطين متوازيين يلتقيان. وهنا يجب أن نتساءل لماذا يختلف اتجاه النظرة؟ ولماذا تلتقي النظرتين في هدف واحد.

طبيعي أن تختلف النظرتين، لأن الشخصيتين مختلفتين؛ فالشخصية الأولى شخصية بروفسور وهي درجة عالية من الأستاذية في الجامعة والشخصية الثانية لمجنون مختل عقليا، ولا شك أن الفرق واضح بينهما على مستوى المكانة على الأقل. لكن مع ذلك، فإن المجنون الذي قد يبدو بالنسبة للجميع مختلفا عن البشر العاديين، لا يفكر ولا يتصرف ولا ينظر مثلهم، يمكن أن يساعدهم في تحقيق أهدافهم، والهدف هنا هو جمع مفردات المعجم الذي تم بإيعاز من المجنون كما تحكي قصة الفيلم.

وإذا أردنا من جهة أخرى أن نقسم صورة الملصق أفقيا سنلاحظ أنه يمكن تقسيمها إلى قسمين اثنين متفاوتين: قسم أعلى خصص لوجه الممثلين اللذين يبرزان بشكل واضح ولافت للانتباه وتم التركيز على ملامحهما ونظراتهما تحديدا، ثم هناك قسم آخر في الأسفل يحتل ثلث الملصق تقريبا خصص لعناصر أخرى كثيرة طبيعية ومعمارية كما هو موضح في الصورة.

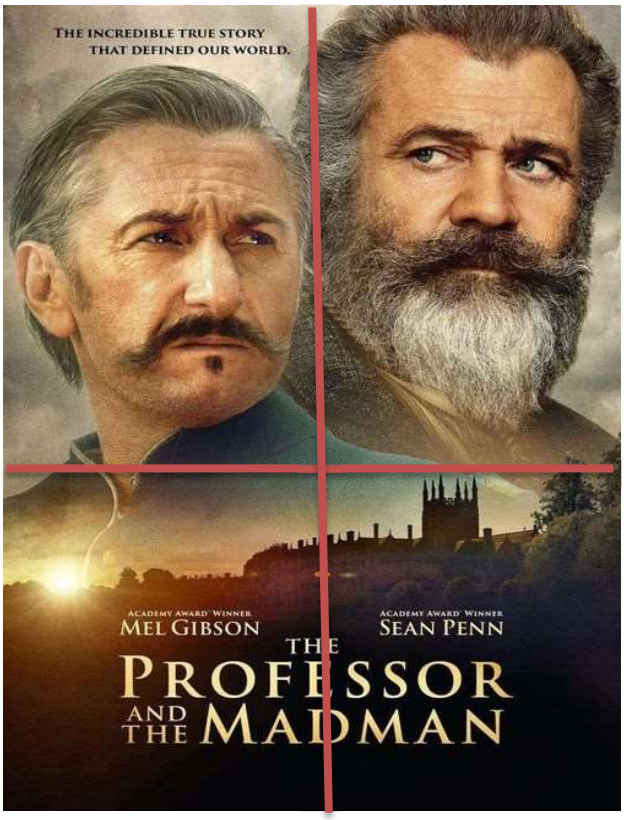

الصورة رقم 3

هكذا سنلاحظ عنصرين مهمين ومختلفين أسفل كل وجه من أوجه الممثلين، ففي الجزء الأيمن أسفل الصورة يظهر صرح معماري عريق يحيلنا مباشرة من خلال شكله على جامعة أوكسفورد وهنا يبدو أن هناك تماثلا بين شخصية البروفسور والصرح العلمي. وفي الجزء الأيسر أسفل الصورة دائما تظهر الشمس وهي تشرق وفوقها توجد شخصية الممثل المجنون الذي ساعد البروفسور على جمع مفردات المعجم، فالشمس هنا رمز للنور الذي أضاء طريق البروفسور وذلل الصعاب أمامه لجمع المادة، هكذا يتحول المجنون على سبيل التشبيه إلى الشمس الساطعة التي تنير طريق المعرفة وترشد إليها، وهي صورة معبرة على ما يقدمه المجانين من خدمات جليلة للإنسانية وهذا ليس بأمر غريب، فهناك تماثل واضح بين الشمس والمعرفة التي يرمز لها معجم أكسفورد المرتبط هو الآخر بإحدى أعرق الجامعات في العالم.

ولكم تبدو هذه الصورة بليغة عندما ننظر إلى المساحة الموجودة أمام الشمس الساطعة، فهي مساحة يكسوها السواد، وعندما ترسل الشمس أشعتها فإنها ستزيل مما لا شك فيه هذا السواد المرتبط بالجهل في مقابل المعرفة. ثم هناك ملاحظة أخرى مهمة تستوقفنا وهي وجود غطاء غابوي كثيف في المساحة المظلمة أسفل الصورة، والغابة هنا لها هي الأخرى بعد رمزي دال على المسالك الوعرة والتيه الذي يمكن أن يحصل لمن يدخلها؛ إنها شبيهة بعالم المعرفة المتداخل والمتشابك، "وتلك هي حالة الغابة اللِفة، وحالة الأدغال التي يتيه داخلها الزائر ويضل سبيله وقد لا يخرج منها أبدا"[3]. فنحن في مثل هذه الأدغال، وكذلك تبدو صورة الغابة في الملصق، نحتاج إلى من يرشدنا وينير طريقنا كما تنيرها الشمس التي شبه به المجنون الذي ساعد البروفسور في البحث والتنقيب على المفردات قصد تدوينها.

والتماثل الحاصل بين مكونات هذه الصورة لا يتأسس عبر مكوناتها البصرية فحسب بل حتى على مستوى مكوناتها اللغوية رغم قلتها، فالملاحظ أن عنوان الفيلم يتضمن اسم الممثلين المشاركين في بطولته، وتم التركيز على صفاتهما بدل أسمائهما

الشخصية، فهناك البروفسور الذي يحيل على مكانة معرفية متميزة، وهناك المجنون الذي يرتبط بوضع صحي صعب، لكن مع ذلك فالملصق لا يظهر فروقا بين البطلين، إذ كلاهما كتبا بخط واضح وسميك في حين أن أدوات التعريف والعطف كتبت بخط صغير جدا مقارنة مع الخط الذي كتب به اسم البرفسور والمجنون.

لا وجود إلا لفرق طفيف جدا، وهو ذكر اسم البرفسور أولا ثم عطف اسم المجنون عليه، وفي صورة الوجهين كذلك يبدو وجه البرفسور أكبر نسبيا من وجه المجنون، وهذا أمر مفهوم جدا بحكم أن الباحث هو البرفسور والمجنون ساعده فقط لكن مساعدته كانت مهمة وعظيمة جدا في تشييد صرح معرفي مهم وهو تأليف معجم من حجم أكسفورد.

يحيل الملصق من خلال التقابلات المذكورة على بعد ضمني، ويكمن في الخدمات التي يمكن أن يقدمها ذوو العاهات العقلية للبشرية، كما أن هناك صلة بين الجنون والمعرفة بحكم أن عددا من الناس كانت المعرفة هي سبب جنونهم كما جاء في أحد أهم الكتب حول تاريخ الجنون: "لقد جرب أنفسهم هذه الحرية، فاكتشفوا، وهم يفتحون لأول مرة حوارا مع الأحمق في العالم المختلط من الصور الجسدية والأساطير العضوية، الحضور الغامض للخطأ مبثوثا في ميكانيزمات عدة: الهوى والخلل والعطالة وحياة الرخاء في المدينة، والقراءات التافهة، والخيال المفرط والحساسية الميالة إلى الإثارة أو القلقة من مصيرها، إنها لعب كثيرة وخطيرة للحرية حيث العقل يخاطر بنفسه وينساق وراء الجنون"4.

تشير هذه القولة إلى وجود أسباب عديدة تفضي إلى جنون الناس، ومن جملتها القراءات التافهة أو القراءة بشكل عام، لذلك لا نستغرب أن يتصف المضطربون عقليا بدرجة عالية من المعرفة العلمية، وأن يركز المخرج على الموضوع، فذاك معناه في نظرنا أن المجانين يمكن الاستفادة منهم، ويمكن الإنصات إليهم بدل نبذهم وتركهم لحالهم يواجهون مصيرهم لوحدهم.

وبناء على هذا البعد الضمني المضمر في الملصق، يمكن العودة مرة أخرى إلى النظرة في الملصق، فإذا كانت نظرة البروفسور مفهومة من خلال عينين شاخصتين متوجهتين نحو هدف يبدو من خلال ملامح وجهه أنه يفكر فيه، فإن نظرة المجنون تأتي في الملصق على خلاف المعتاد، فالمجانين كثيرا ما يتم تميزهم من خلال نظراتهم التي تبدو غريبة بل ومخيفة أحيانا لاسيما في المشاهد السينمائية التي يشتغل فيها المخرجون على النظرة لتمييز المجانين من الأسوياء. لكن لماذا جاءت نظرة المجنون في الملصق نظرة طبيعية تحيل على التأمل والتفكير العميق بحكم أنها مصحوبة بحاجبين معقودين؟

إن الجواب عن هذا السؤال مرتبط بالرهان المتوخى من الفيلم، وهو تصحيح تمثلات الناس حول الجنون، إذ كان بإمكان مصمم الملصق أن يجعل نظرة المجنون مناسبة للصفة التي ذكر بها في العنوان؛ ذلك أننا عندما نقرأ العنوان تواجهنا فيه كلمة المجنون باعتبارها كلمة أساسية وبارزة كما أوضحنا في الملصق، لكن لا شيء يوحي في الصورة على مظاهر الجنون، فالممثل المجنون يبدو حليق الوجه، وبتسريحة شعر مميزة، وبملابس أنيقة، حتى إننا لا نتعرف منذ الوهلة الأولى المجنون من البرفسور، وكأنهما متساويان في كل شيء، وتلك هي غاية الفيلم.

إن المكانة العلمية التي يحيل عليها الملصق تتضح في الصورة بواسطة اللقطة العامة التي تمتد من الوجه إلى الصدر، فإظهار الكتفين والصدر في الملصق ليس اعتباطيا، ذلك أن ملابس الممثلين تحيل على مكانتهما، فنحن نستطيع أن نميز البروفسور على المجنون بالسترة التي ترمز للباس الرسمي الذي غالبا ما تظهر به هذه الفئة الاجتماعية، علاوة على اللحية الكثيفة التي ترمز هي الأخرى إلى الاتزان هنا والانشغالات، كما يرمز الشيب الذي يتخللها إلى تقدم البروفسور في السن مقارنة مع المجنون الذي يبدو حليق الوجه.

خاتمة

يشكل الملصق بمختلف أشكاله وأنواعه أحد أهم مظاهر الصورة السينمائية الثابتة، وما دون ذلك يصعب الحديث عن الصورة السينمائية الثابتة في الفيلم، ويعد بذلك أول عنصر يمد المتلقين/المتفرجين بالعناصر الفرجوية الأولية للفيلم؛ إنه يبني لديهم التوقعات ويدفعهم إلى ممارسة التأويل من خلال الربط مختلف العناصر التي يتشكل منها الملصق والتي تتأرجح بين اللفظي والبصري، وإن كان الجانب البصري يحظى بأهمية كبيرة في ممارسة التأويل المتحدث عنه من لدن المتفرجين المفترضين لاسيما ما يتعلق بسلم اللقطات التي يتم انتقاؤها بعناية لتحقيق غايات ظاهرها الإخبار وباطنها الإقناع، ولعل ذلك ما حاولنا الوقوف عنده من خلال تحليلنا لملصق فيلم "البروفسور والمجنون".

الهوامش:

-Septi Rizki Nuryani: Semiotics Study on Poster Film The Pursuit of Happyness, Journal of 1 Literature, Languages and Linguistics, Vol, 54, 2019, P: 27.

2-"البرفيسور والمجنون"، بطولة: ميل غيبسون، وناتالي دورمر، إيوان جروفود، وجيريمي إيرفين، إخراج: فرهاد سافينيا (2019).

3-أمبرتو، إيكو: ست نزهات في غابة السرد، تر: سعيد بنكراد، 2005، ص:11.

4- فوكو، ميشيل: تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، تر سعيد بنكراد، 2006، ص: 516